عظة وعبرة

الكلمة التي القاها الاستاذ فيصل جري السامر في قاعة ثانوية البصرة عاشر المحرم

قليل من الاحداث التاريخية نالت من الدروس والتامل ما نالته نهضة الحسين (ع) واقل من هـــذه الحوادث التي تركت في القلوب والاذهان هذا الاثر العميق ، الذي يزداد على مر الايام تعمقاً ورسوخا .

وليس هذا بعجيب ، فالباحث في هذه الحركة يستشف من خلال فصولها حقائق خالدة اكثرها تعلقاً بموضوعنا الراهن هو — ان الصراع بين القوة والحق يسفر دائما عن انتصار الحق ولو بعد حين . .

فنهضة الحسين (ع) لم تكن قيام فئة من الناس ضد الدولة وان هذه بما لديها من قوة وانصار استطاعت كبحها والتنكيل بالقائمين بها .. كلا . . ! فانها تنطوي على عوامل عميقة الغور ، وفلسفة بعيدة المدى .

ان اعتلاء يزيد للعرش كان طعنة نجلاء لمبدأ الشورى الذي تواضع عليه العرب وتعشقوه ، والذي زاد في فجر الاسلام ثباتا ورسوخا ... وانتصاراً لنظام الاستبداد الذي لمس فيه المسلمون انحرافا عن مبدئهم — الشورى ورأي الاغلبية —

فالصراع اذن . ! كان بين نظامين نظام الملك الدنيوي ونظام الخلافة الدينيـــة المنبثقة من ينبوع العدالة . وانتصار احدها انما يحدد مصير الدولة الاسلاميـــة ، ويقرر منهجها ومثلها العليا . وقد صدق الحسن البصري حين قال : ما معناه (ان رجلين افسدا امور المسلمين ؛ عمرو بن العاص الذي اشار على معاوية برفع المصاحف يوم صفين ؛ والمغيرة حين نصح معاوية باخذ ولاية العهد ليزيد)

حقا لقد كان معاوية داهية من دهاة العرب المعدودين لكن يزيد لم يكن خلفه اللائق ، ولم يكن الخليفة المرموق لدى الامة ، لقد كان (يزيد) قاسيا لا يعرف الرحمة ؛ وظالما لم يراع الحق ، ضرب بالتقاليد الاسلاميـــة عرض الحائط ، وعاش بين ثلة من المعربدين يمارس اللهو الذي حرمه الدين ويوجه الاهانة تلو الاهانة لمنصب الخلافة الذي كان بموجبه يرأس المسلمين

لقد كان الصراع إذن بعيداً عن غمرة الاطماع ودنيا المناصب وابهة السلطان ، كان صراعا بين فكرتين ومسلكين ولم يكن الحسين « ع » يهدف منه الى نيل الخلافة ، بل خرج يلبي نداء المسلمين الذين اهابوا به ان ينقـــذ الدين وينتشل الفضيلة ، ويعيد الى الاسلام سابق رونقه وماضي مجده ، ويحيي المبدأ السامي الذي عصفت به الاطماع .

تصوروا — ايها السادة — تلك المعاني المجردة التي جعل منها الحسين « ع » بنهضته حقائق واقعية ملموسة ؟ رجل يدرك بضميره الحي ونفسه النقية ، وعقله الكبير ، ان الدولة الاسلامية انحرفت عن الصواب ، وان المثل العليا التي خلفها الرسول (ص) ونافح عنها الخلفاء الاول .. قد اصابها المسخ والتشويه .. فيخرج « ع » وملؤه الغيرة والحمية من مركز الخلافة الاول ، يشن حملة ضد الطغيان والظلم ، ويقف مع انفار معدودين ضد ابهة الملك وغطرسة السلطان واتباع الشيطان يجالد ويصارع ويكافح حتى يهوى على ارض الميدان وهو هادئ النفس مرتاح الضمير ، لانه عـــلم الدنيا معنى الاستشهاد ، ورسم للاجيال القادمة مفهوم البطولة ، وخط على صفحات التأريخ آيات التضحية والعظمة ، بكل ما تحمل هذه الكلمات من معاني .

ان مصرع الحسين (ع) بما رافقه من ملابسات سيوقظ مدى الزمن — كما قال جيبون — اعمق مشاعر الالم والاسى في ابرد القلوب واغلظها .

وهكذا علمتنا مأساة الحسين « ع » ان قليلا من الناس يعيشون ولديهم فكرة ، وللحياة في مفهومهم هدف ، واغلب الناس يعيشون ويموتون ثم يتركون الدنيا دون ان يخلفوا وراءهم اثراً ، كفقاعات الماء تنفجر بهدوء دون ضجة ودون سخط . لكن الخالدين هم اولئك الذين يحيلون ايامهم ولياليهم سعياً دائبا الى غاية نبيلة .. وكفاحا متصلا من اجل فكرة ، ثم يموتون وهم انشودة على كل لسان وترنيمة في كل وجدان ،

انما السيرة تكشف عن المسيرة

بقلم : الاستاذ صدر الدين احمد

كان يزيد الاول شابا طائشا صعب المراس ، يقترف من الآثام اشنعها ولا يحجم ان يمالن بها المسلمين، حتى لقد كان يخرج الى الصلاة مخموراً في اكثر الاحيان ، او يرتقي المنبر كذلك ، او يتخذ من دار الخلافة موئلا للمومسات ، فكأنه كان يلتمس الايمان من الخمر والمومسات بأنه لايزال مارقا من الدين .. اذ لم يجد في نفسه ايمانا آخر يشفع له ان يكون اميرا للمؤمنين .

ومتى كان « يزيد » هكذا في طبيعة اخلاقه .. فناهيك به من خليع مطبوع ، وناهيك بان الذين بايعوه بالخلافة انما بايعوه مع هـذه الاخلاق كي يظاهروه بها على اخلاق سائر العلويين !

ولو لم يكن ذلك هو غرضهم بالجزم ، ولولا انهم كانوا متعصبين الى يزيد دون غيره — لجعلوا الامر شورى بين المسلمين ليختاروا كائنا من يكون أجدرهم بالخلافة واصدقهم تمثيلا لاخلاقهم وآرائهم ..

وهل تعرف رجلا اسمه « أيمن بن خزيم الاسدي » ؟ انه كان شاعراً للأمويين في الشام ، وانه كان واحداً من الوف الدعاة الى خلافة يزيد، ولقد نظم قصيدة قال في سياقها :

اديروها بني حرب عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا
ماعلينا الآن من هذا ..

انما يجب ان نعترف للامويين بأنهم كانوا في الواقع قوما ماكرين ، وكانوا يعلمون بالتجربة والبداهة ان في المسلمين ناساً ينعقون مع كل ناعق ، وان فيهم ارهاطاً جبناء ومسالمين وان فيهم لفيفاً يطمحون الى جر المغانم ، وان فيهم احزابا تؤيدهم وتدعوا الى تثبيت اقدامهم .. فلا عجب اذا ما انتهزوا تلك السوانح كلها واستمدوا منها الجرأة على تنصيب يزيد خليفة كيفما اتفق ، وكيفما سيكون .

غير ان الكوفيين كانوا أيقاظا حينذاك ، وما كان اسرعهم الى الانتقاض على يزيد ، اذ كانوا يرون ان الحسين السبط أحق بالخلافة العامة سواء من حيث طهارة اخلاقه أم غزارة معارفه القضائية والسياسية والحربية . ولذلك فقد تألبوا في مشارق الكوفة ومغاربها ، واعلنوا سخطهم على تصرفات الامويين الغادرة ، ثم كتبوا الى الحسين يستقدمونه عليهم ، ويحذرونه بانه سيكون هو المسئول عن العاقبة ان هو امتنع عن مناصرة بقية المسلمين .

فماذا كان من أمر الحسين ؟

لاريب في انه اصبح من الكوفيين تجاه مأزق حرج ، وتجاه رتيمة معقدة ؛ فهو اذا اجاب دعوتهم فليس يأمن على نفسه من التهلكة ، واما اذا أهمل دعوتهم فقد اهمل واجبا لابد من انه سيحاسب عليه جيلا بعد جيل .

فماذا آثر من هذين النجدين ؟

حي على الفلاح ..

حي على خير العمل ..

لقد آثر خير النجدين ، لقد آثر التضحية بنفسه في سبيل الدين والشرف والاخلاص ، لقد آثر ان يموت شهيداً ناصع الجبين على ان لايحيا في ذاكرة التاريخ جبانا اسود الجبين .

وهكذا انقذ امة باسرها حينما جعل من قطرات دمه علائم تدل على قوم كانوا في دخائلهم مجرمين .

البصرة : فيصل جرىء السامر

لقد مات يزيد ومات الحسين ، لكن التاريخ افرد لذاك صفحة سوداء كلها خزي وعار ، ولهذا سجلات كلها حمد وثناء كلها مجد وخلود تروى كل يوم بل كل ساعة .

اننا نسيء الى ذكرى الحسين ع ، ان ندبناه وبكيناه فحسب ، فان البكاء عليه اضعف الايمان .

علينا — ايها السادة — ان نستمد من حياته واستشهاده عظة وعبرة ونجعل من مأساته بحراً خضما ننهل من عبابه الصبر والشجاعة ، والايمان والكفاح ؛ كلما اعوزتنا هذه المعاني لاصلاح حاضرنا ورسم طريق مستقبلنا .

النجف : صدر الدين احمد